مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

لا يخفى ان حرب الصين مع اليابان منذ بضع سنوات في التي خرقت سياج الصين وذهبت بهيبتها وكشفت عوارها للدول الغربية حتى طمعن منذ ذلك اليوم في الاستيلاء على ممالكها الواسعة وبعد ان كان هذا الامر حديثاً في الانفس وامنيةً في الخواطر اندرج في لفّ المقاصد الخفية والعزائم المعقودة وذلك لما ظهر من كون هذه السلطنة العظمى اشبه جداً بالطبل الذي يعظم في العين جسمهُ ويدوي الى بعيد صوتهُ حتى اذا لجهُ الانسان بيده وجدهُ اجوف فارغاً فتقلّص جثتهُ وانقطع صوتهُ. فتخمّر في رؤوس الاوربيين منذ حرب اليابان ادخال هذه البلاد في جدول الممالك الشرقية التي قضى عليها تأخرها في الحضارة ان تكون خاضعةً لسلطان اوربا وما زال الجهل عبداً للعلم والمتأخر تابعاً للمتقدم

وانما حال الى الآن دون مد الايدي الى جفنة الصين وتقاسم ما فيها بأصابع منذ خرق ذلك الحجاب السماوي على يد اليابان تناظُر الدول وتجاذبها الحبل من كل جهة والزحام الواقع على حوض ابن السماء العذب كما هي الحال في كثير من الممالك الضعيفة الباقية على ملك اهلها. فجعلت كل دولة منهن خصوصاً الدولتان الكبيرتان اللتان في يدهما زمام المشرق واليهما خطام آسية اعني بهما انكلترا والروسية تجتهد في تخطيط "منطقة نفوذ" لنفسها في بلاد الصين يكون لها مهد مملكة مستقبلة هنالك وسعى كل فريق في التأمن على نصيب وافٍ وشقص عريض من هذه التركة الكبرى يبرّد لهُ بطريق القسمة الشرعية بدون ان تدعو العجلة والتهافت فيما بين الورثة الى هز عوامل وتجريد سيوف. وهذا ما طوت الدول انفسها عليهِ ولا يزال مطوياً فضمائرها يؤخر من ابرازه الى حيز الوجود سكون الصين واستقامة امورها وتوفر اسباب ثباتها وتكشف اسوار منعتها وتعجل في ظهوره الى ميدان التحقيق تتابع فتنها وتفتق رتوقها وتفتح ابواب المداخلة في امورها وانهيار جوانب سياجها بعوامل الفتنة مما يطرق عليها ويتدرج اقدام الاجانب اليها ويمكنهم من اراضيها وذلك انهُ كما كان الميكروب لا يعيش ولا ينمو الاّ في المآت الصالحة لكنائهُ المترشحة لنزوله من تضاعيف الضعف وتجاويف الهزال كذلك النفوذ الاوربي لا ينبسط ولا ينتشر الاّ حيث وجد منتجعاً صالحاً لهُ من ضعف البلاد واختلال الادارة وسقوط دعائم الاحكام يشهد بذلك تاريخ دخول الاوربيين في كل مملكة دخلوها وصيروا اعزّة اهلها اذلةً

ولما كان لا بدَّ لتلك المملكة الشاسعة التي تمكن منها النفوذ الاوربي من حركة رد فعل على يد الحزب الوطني فيها كان ذلك فاتحة المداخلة الفعلية فجيء من باب اجهاز القوم على انفسهم بايديهم وذلك مثل فتنة البوكسر الحالية وليست هذه باول ثورة هناك على الاوربيين ولا تكون آخر ثورة بل ان فتنة التايبنغ التي ابتدأت سنة ١٨٤٨ وانتشرت في تلك المملكة انتشاراً اوشكت أن تسقط بها الامبراطورية المالكة الآن كانت موجهة ضد الحكومة في الظاهر وضد الاجانب في الباطن ومقصدها تخليص الصين من ربقة النفوذ الاجنبي وتجديد شباب دولتها ولذلك حرصت الدول وتشنر على محو آثار تلك الفتنة ونصرت الحكومة عليها نصراً مؤزراً لا حباً بها بل بغضاً بتلك الفرقة الاصلاحية حال كون هؤلاء التايبنغ كانوا متظاهرين بالهوادة الدينية والميل الى النصرانية وقد جعلوا التوراة في جملة كتبهم الدينية فلم تألف دول اوربا بهم لذلك وآثرن الدنيا على الدين وايدن الدولة المشورية في كرسيها. وما زالت منذ ذلك الحين تنعقد جمعيات سرية في الصين وتتألف عصائب مرماها احاطة نفوذ الاوربيين وكشف سلطتهم عن اطراف تلك المملكة وكان كلما زاد نفوذ الدول ورسخت اقدامها في البلاد واحتلت من هنا بلداً واقتطعت من هناك ثغراً ازدادت كراهية الصينيين لوطأتهم ونفورهم من جوارهم وما قام قائم البوكسر هذه المرة الاَّ وقد بلغت ارواح الصينيين الحناجر ورأوا ان قد احيط بهم ومالت دعامة ملكهم الى السقوط وساعدهم في ذلك استعداد الامبراطورة "تسوهسي" التي حاولت احياء روح العصبية الصينية وزرعت بذار العداوة والبغضاء للاوربيين فلم تتم ان استطلت الفتنة وحملت على حصد رؤوس الشر. وقامت اوربا تدافع عن بنيها المتفرقين في تلك الاقطار وهي ترى في هذه الفتنة حركة معنوية مهمة وتتوجس من ورائها شراً مستطيراً وكانت تهم بنجز الموعود وتقضي على الصين قضاءها لولا ما تخشاه من الوقوع في شر اعظم هو تضارب السياسات وتصادم المصالح وبعد الكون على الصين يداً واحدة رجوع بعضها لمناصبة بعض تهارش السباع على الفريسة فقامت الدول الغربية مع دولة اليابان الشرقية بعمل مشترك لقمع ثورة البوكسر ولكن على حذر تام بعضها من بعض والكل يريدون حل المعضلة بالتي هي احسن

ولما كانت مملكة الصين من اغرب الممالك شكلاً واوسعها رقعة بل كانت اكثرها عدداً واقدمها تاريخاً وهي اهم ما طمحت اليه عين اوربي من الممالك الشرقية وكان جم غفير من المطالعين يحبون ان يعرفوا هل لاوربا امكان زائد من رقبة الصين والاحاطة بملكها او هو مطلب عنيد وعقبة صعبة لا يرجى صعودها الى الآن وهل ضعف الصين العسكري كافر في

انهيار جدارها وانتكاث حبلها او لها من ورائه قائمة اخرى ورابطة ثانية تمنع من انحلال عاتيك العصبية وهل اذا سقطت حكومة "بكين" سقط الوطن الصيني بأسره او بقيت هناك عصبية واقفة في وجه السطوة الاوربية مستقلة عنها باسباب راسخة متمكنة بواشيج عروقها ومرونة اعطافها مع الثبات ولين ملامسها مع المتانة او لم تبق عصبية ولا عصبية واضمحل كل هذا. والحاصل هل الصين لقمة سائغة في مزدرد اوربا او هي عظم سمك في حلقومها نجمت بمجالي هذه البحث عن الاسباب التي يبنى عليها افتراض موت هذه المملكة وتناط بها آمال الاوربيين في الفتح والاسباب التي بعكس الاولى تمسك من جرف الصين وتسد من ثغورها وتحرس على اهلها اجلها حسبما وصلت اليه بعد التحقيق والتمحيص والله تعالى من وراء العلم

اذا اشتدت العلة على مريض اخذ الاطباء في فحص جسمه خصوصاً الاعضاء الرئيسة منهُ ليعرفوا سليمها من مصابها فان وجدوا ان القلب مصاب بالتقهقر التاجي وان المعدة لا تفرز عصارتها جيداً ولكن الرئة سليمة والحرارة غير عالية وسائر الاعضاء مؤديات وظائفها جيداً او ان رأوا الرئة مصابة والحرارة عالية ولكن القلب سليم والمعدة جيدة وما اشبه ذلك مما تصرف منهُ مدة مقاومة ذلك الجسم للعلة الى ان تكون نجمت فيه العقاقير وازنوا بين دواعي الحياة وبواعث الموت فان رجحت الاولى ازدادت آمالهم في نجاة المريض وان رجحت الثانية اشتد خوفهم عليه . ونحن سنشرح العناصر الحية التي في باطن المملكة الصينية والاسباب التي بمثلها تقوم الدول وتستتب الامم وتستمر سيرتها وبسط العلل التي في جوف الصين موهنة لجسمها مقصرة لحياتها معجلة للحكم بزوال امرها ولما كانت الصناعة من امهات العمران واركان بناء الامم وما اشتهر به الصينيون من قديم الدهر فهي من احيى عناصرهم واسلم اعضائهم الرئيسة واكثرها تأدية لوظيفتها قدمناها على غيرها بالذكر فنقول

الصناعة في الصين

من المأثور ان الله قد انزل الحكمة على ادمغة اليونانيين والسنة العرب وايدي اهل الصين ومما اتفق عليه الجغرافيون والمؤرخون والباحثون ان الامة الصينية امة صناع اليد لا تبارى في الصناعة مرزوقة الحظ في هذه الجهة بل ربما عدها الكثيرون في مقدمة الامم الصناعية شرقاً وغرباً . ومن هذا الفريق ابن بطوطة الذي يقول في رحلته "واهل الصين اعظم الامم احكاماً للصناعات واشدهم اتقاناً فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفهُ الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه" ووصفهم بمثل ذلك "ماركو بولو" الرحالة الايطالي الشهير ومن شدة ما اعجب به من صناعتهم وسائر احوالهم نسبهُ اهل عصره الى التعصب لهم ورموهُ بالكذب والمبالغة كما

رمى جماعتنا ابن بطوطة والحال ان الصينيين ايام ابن بطوطة وماركو بولو كانوا بلا شك سابقين كلّ الامم في غايات التمدن وانما كان الذين لم يألفوا هذا العمران المستجد معذورين في انكار ما يسمعونهُ من غاياتهِ خصوصاً اذا قرأوا مثلاً عن مدينة (هانغتشو) او (كنساي) ان فيها مئة الف برج وستمائة الف بيت وثلاثة آلاف حمام واثني عشر الف جسر حجر تمر من تحت جميعها المراكب وعلى كل جسر منها حرس عشرة رجال وان الصناع والمهنة فيها منقسمة الى اثني عشرة فرقة كلّ فرقة تأوى الى اثني عشر الف بيت " وهي التي سماها ابن بطوطة (الخنساء) وقال ان مسيرتها ثلاثة ايام وقال اودوريك دوبوردنون انها اكبر مدينة في العالم وقد حققت الآثار اقوال هؤلاء المؤلفين وخلصت من شائبة التزيين والمبالغة ولا عجب بعد وصول العمران الى هذا الحد ان تكون الصناعات هناك زاهرة والاعمال البدوية باهرة لان اتقان الصناعة انما يكون على قدر استجار العمران وتأثل المدنية

وقد سبق الصينيون الناس الى غايات شتى منها الصناعة واكتشفوا كثيراً من اسرارها منذ قرون حتى ان جمًّا من الصنائع والاختراعات التي اطلّ عليها الاوربيون في اواخر القرون الوسطى واوائل القرون الحديثة كان معروفاً عند اهل الصين منذ مئين من السنين قبل ذلك العهد مثال ذلك صناعة الطبع التي ظن بعض الاوربيين انها من اختراعهم حال كون هذا الظن نشأ من جهلهم باحوال الاقاليم وعدم الوقوف على ما عند غيرهم اذ قد عثر المحققون على آثار في القرن السادس للمسيح تفيد ان الطباعة كانت معروفة عند الصينيين من قبل هذا التاريخ . قال بعض الافرنج " ولو كان الافرنج قرأوا تواريخ الفرس لقرأوا عن كيفية الطبع في كتاب رشيد الدين المؤلف في نواحي سنة ١٣١٠ " قلت ولو اتقن الافرنج معرفة تاريخ العرب كلهم لعرفوا ان الطبع انتقل من الصين الى فارس ومنها ظهر في الاندلس القطعة العريقة في كل صناعة من بين بلاد الاسلام وقد قال صاحب الاحاطة في اخبار غرناطة في ترجمة ابي بكر القلومي " ورفع للوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدّة وآلة طبع الكتاب " وجاء في كتاب الحلة السيراء لابن الابار القضاعيّ البلنسيّ عن بدر مولى الامير عبدالله انهُ " كان يكتب السجلات في داره ثم يبعثها للمطبع فتطبع وتخرج اليهِ فتبعث في العمال " . وكانوا يحفرون الخشب للطبع ومن آثار ذلك طابع كان تجار المرية يرسمون بهِ البضائع في نواحي سنة ٧٥٠ للهجرة . واما الصينيون فكانوا قد عرفوا الحفر في الخشب والحجر والنحاس والطبع بقطعها وفي اواسط القرن الحادي عشر للمسيح اخترع احدهم الحروف المعروفة اليوم من خزف ولكن لما كانت كتابة الصين كثيرة الاشارات والحركات كان من الصعب استعمال هذه الحروف

النقالة الاّ في الكتب العامية والجرائد التي تكفي في املائها الحركات اليسيرة ومع هذا فقد اجتهد بعض الطباعين في طباعة كتب مهمة بالحروف النقالة وافلحوا فجاءت غاية في الاتقان ولما عزم الامبراطور (كنغي) على طبع الستة آلاف كتاب التي طبعها امر فحفر لطبعها ٢٥٠ الف مثال من النحاس وكذلك الحروف التي في المطبعة السلطانية الآن يسمونها هناك حسنها "الدرر المتناسقة"

وطالما كانت الصنائع في الصين جدًّا زاخرًا والمدنية فيها متبسطة الاطراف ولا عم لاهل اوربا بشيء من هذا حتى كشفهُ لهم بعض السياح ولكن لم تصلهم الاخبار الموثوقة عن الصين وصنائعهم وسائر احوالهم الاّ في اواخر القرن السابع عشر للمسيح بواسطة دعاة الديانة النصرانية وبترجمة بعض الكتب التي ترجمها عن الصينية ستانسلاس جوليان وغيرهُ. وقد وهب الله الصينيين حذقًا فطريًّا في العمل وانزل الحكمة على ايديهم والدقة على انامليهم واللباقة على معاصمهم وآتاهم سرعة الفهم وقيامًا على العمل فجاؤوا صناعًا ماهرين وعملة حاذقين وساعدهم على اتقان اعمالهم عدم تقسيمها عندهم كما هي مقسمة في اوربا فكل صورة او قطعة او آلة هي عندهم عمل صانع واحد يعمل جميع ما يلزم لها فالصانع هناك هو المصور والمركب والمرصع والملوّن والاعمال اكثرها افرادية ولذلك التزموا جميعًا دقة النظر وطاوعتهم انامليهم في اكثر الصناعات وانك لتجد في كثير من ولايات الصين الفلاحين صنع الايدي يغزلون بايديهم اقطانهم ويحوكون اقمشتهم ويخيطون ثيابهم وهلمَّ جرًّا وانما كانت لهم البراعة الفائقة في عمل السلال والجوّن وضفر القصب على الاطلاق حتى من سلالهم ما يصب فيهِ السائل ويفرغ فيهِ الماء فيكون كقعبان الخشب او كآنية النحاس فتأمل

ومما امتاز بهِ الصينيون تحليل مركبات النحاس والرصاص والتوتيا والقصدير والزرنيخ والفضة والذهب ويسبكون منها ما شاؤوا آتين فيها بالفنون العجيبة وان الآنية التي يصنعونها لا تنظر في لونها ولمعانها ومائها وقد تصل بعض آنيتهم من الملاسة والسلاسة والصفاء والماء الى درجة تعجز سائر صناع الارض ولا يزالون يطرقونها حتى يكسبوها رنة لا توجد في سواها ولهم مهارة غريبة في التطريق فتجد خمسة فيون يطرقون جميعًا على دائرة واحدة طرقًا متناسبًا في القوة والايقاع حتى لا تفرق ذلك عن الموسيقى اصلاً

ومما فاقوا بهِ ايضًا ترصيع الخشب والعاج والحجارة الصلبة مما يسمى بالتنزيل فلهم في ذلك الدقائق المدهشة كذلك صنعة الورق التي اخترعوها هم فانهم سبقوا فيها الجميع وهم يعملون الكاغد انواعًا ومن هذه الانواع ما لا يعرف في اوربا ومع هذا فقد يؤثر الاوربيون الورق

الياباني او الكوري . اما الاصباغ فقد انحصرت الرئاسة فيها بالصينيين وكذلك لمزاولتهم استعمالها وتفننهم فيها ووجود اشجار في بلادهم لا توجد في سواها يعتصرون منها لهذه الاصباغ والالوان ما يجعل لها المزية على غيرها. وقد يتحلب من عصارات بعض هذه الاشجار مواد سامة قتالة تجعل الخطر على الماهرين في تعاطيها بل في اشتمام روائحها فيلتزمون استعمالها بغاية الدقة والحذر . وبالاجمال فان كثيراً من سر هذه الاصباغ لا يزال مجهولاً عند الغربيين

اما كيفية استخراجهم للحديد وتليينه عندهم فتقرب من طريقة اهل اوربا واما الفولاذ (الصلب) فالصيني منهُ يفضل على الانكليزي ولكنهم لم يباروا الاوربيين الى الآن في استخراج الفحم الحجري مع ان بلاد الصين من اغنى بلاد الله بمعادنهِ ولا يظن وجود معدن للفحم الحجري في الدنيا ايسر تناولاً من معدن شانسي وقد قال (فون ريشتوفن) ان في جنوبي شانسي من الفحم ما يكفي العالم آلافاً من السنين. غير ان طريقة استخراجهِ لا تزال صينية محضة الاَّ ما كان في معادن فرموزا ومنشوريا وبشيلي فقد اتبعت فيهِ الاصول الاوربية الجديدة

والسبب في تجافي الصينيين غالباً عن استعمال الطرق الاوربية هو عجبهم بصنائعهم وبأنفسهم وكونهم لا يقرون للغربيين بالتقدم عليهم والحال ان تقدم العلم والصناعة في اوربا الى الحد الذي وصلا اليهِ لم يبقِ محلاً لكبرياء الصين وخيلائها الاَّ في قليل من الصناعات بل الصينيون انفسهم صاروا يحتذون امثلة الاوربيين في كثير من الاشغال. واهل (كنتون) في عمل الادوات والمواعين والساعات واسباب الرياش والفراش اتوا بغرائب عن الاوربيين والاميركيين فضلاً عن كون الغربيين هم اساتذة الآلات البخارية والمناجم . ومهما شدد الصينيون في حفظ اصولهم القديمة في العمل فلا غنى لهم عن تقليد الافرنج في كثير من الاشياء نعم عندهم صناعات قديمة تستحيل فيها القوالب الجديدة لانهم اخترعوا لها طرقاً هي من البساطة والسهولة بحيث لا يمكن ان تزداد تسهيلاً ومنها ما لم يقع عليهِ تغيير منذ اربعة آلاف سنة . قال بول شايون في كتاب الصنائع القديمة والجديدة في الصين " ربما دثرت بعض هذه الصنائع القديمة بالمرَّة ولم يمكن تغيير اوضاعها وكيفيات عملها " وقد درست صنائع في الصين ولم يبقَ في امكان الصينيين ولا الافرنج تجديدها اذ كيف يتأتى تجديد صنعة الآنية المرصعة والخزف الشهير بالصيني المعروف في ديار الشام والمتنافس فيهِ بين الاقوام . قد جرَّب عمل ذلك كثير من صناع الغرب والشرق فمضى سرهُ عليهم ولم يفلحوا

ومما اتقنهُ الصينيون فن التصوير ولهم فيهِ سرعة خاطر زائدة وقد اشار الى ذلك ابن بطوطة منذ نحو خمسة قرون فقال : "واما التصوير فلا يجاريهم احد في احكامهِ من الروم ولا

من سواهم فان لهم فيهِ اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الاَّ ورأيت صوري وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكراعد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي ونحن على زيّ العراقيين فلما عدت من القصر عشيًّا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صوري وصورة اصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبهِ وهي لا تخطئ شيئًا من شبههِ. وذكر لي ان السلطان امرهم بذلك وانهم اتوا الى القصر ونحن فيهِ فجعلوا ينظرون الينا و يصوّرون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فراره عنهم الى بلاد اخرى بعثوا صورتهُ الى تلك البلاد و بحثوا عنهُ فحيثما وجدوهُ تلك الصورة أخذ"

ولهم ملكة راسخة ايضاً في الوشي والرقم وهي صناعة (كنتون) التي هي من امهات مدنهم واحفلها بالاعمال اهلها ينسجون الحرير و يصقلون المنسوجات ويحفرون ويحتون و يرصعون و ينزّلون في الخشب والعاج وغيرهما و يصنعون الزجاج والورق والكر. قال (جوليان روشتوار) في كتابهِ " باكين وداخل الصين " انهُ سواء بزهو الالوان او بهاء النقوش او بدقة الشغل ليس لصناعات كنتون مثيل في الدنيا

وفي مدينة (هانغتيشو) وهي خنساه ابن بطوطة ستون الف عامل بالحرير فقط وفي مدينتي (هوتيشو) و (كياهين) مئة الف عامل بهذا الصنف وحدهِ والعملة عندهم يرضون بالاجرة القليلة فيومية الفاعل في باكين وشنغاي وكنتون من ٥٠ سنتيماً الى فرنك واحد وعملة الحرير اوفر العملة اجرة ولكنها ليست بشيء بالقياس الى اجرة العامل الغربي نعم ان الطعام في الصين ارخص منهُ في اوربا ولكن فما تجد فاعلاً اجرتهُ تكفيهِ وفي اكثر المقاطعات غذاؤهم الارز فقط ومع سوء غذائهم وصفرة الوانهم وخمول اجسامهم لهم قوة عضلية مهمة وعندهم صبر عجيب واذا جاؤا لجر الاثقال لم يكن الانكليز اوثق قدماً منهم بل في اواسط المملكة حيث تندر الانهر والمجريات والطبوع (الانهر المحفورة) تجد جميع الاحمال على ظهور الرجال فتراهم صاعدين نازلين باوقار يضعف الاوربي ان يحملها في السهل

ولهذه المزايا في فعلة الصين صعبت مزاحمتهم وكاد يستحيل نجاح العامل الاوربي بجانب العامل الصيني في حرفة واحدة وقد اجتمعا مرارًا والاوربي يأخذ اضعاف الصيني فأثرى الصيني من القليل ولم يكفِ الاوربي الكثير والتزم الفرار ولهذا تضايق اهل اميركا واستراليا من مهاجرة الصين وكرهوهم واخيرًا وضعوا الموانع في طريق مهاجرتهم وثقلوا عليهم الضرائب .

ولما لم يمنعهم ذلك عدلوا الى اغتالهم واهانتهم وربما ثاروا عليهم وذبحوهم وما زالوا يدافعونهم عن بلادهم وهم يدفعون عليها ويزاحمون فقراءها حتى اضطرت حكومة الولايات المتحدة ان تعقد وفاقاً مع حكومة الصين بمنع استقرار الصينيين في تلك الولايات وفي جزائر الفيليبين وضيقت عليهم حكومة هولندة في الجاوي فهي لا تأذن لهم في الاقامة الاَّ في محالّ معينة ولا تعاملهم الا بالعنف ومع كونهم مدّوا خطالاً كثيرًا وجعلوا مرتفقاً كبيرًا في غربي استراليا وفي مستعمرة سنغافورة الانكليزية فتجد القوم يكرهون جوارهم ويسمون في جلائهم وما ذاك الاَّ من صعوبة مياراتهم وان ليس للغربيين صبرهم ولا ثباتهم ولا قناعتهم ولا رضاهم من العيش بالادنى. ولرجال العمل عندهم جمعيات ونقباء كما في اوربا بل اكثر مما في اوربا ولهم خضوع تام لنقبائهم مما يسهل عليهم طرق النجاح والحاصل ان الصينيين وان اعوزهم الاقدام وعلو الهمم فعندهم الثبات والبصر بالصنائع وهم امة صناعية فطرةً وجبلةً ويبعد ان يظلهم الاوربيون في هذه الشؤون او ان ينالوا معهم سبقاً. كنت اتحادث في هذا الامر مع حضرة عباس افندي البهائي رئيس الفرقة البابية وهو من العقل والعلم وسمو المدارك بالمقام الذي لا يخفى فقال لي: ان اخذ الاوربيين للصين بالسيف امر غير صعب المنال وانما كان مقصد الاوربيين في التملك خارج بلادهم الكسب والتجارة والعمل والكسب مع امة كالصين صعب اذ لا يمضي مدة بعد اخذ الاوربيين للصين حتى يأخذ الصينيون جميع ما بايدي الاجانب من الصنائع

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل السادس

اذا وقع القدر بطل الحذر. فان دوق بلامونت وزوجتهُ بذلا الجهد في وقاية ابنهما من المخاطر. وارسلا معهُ قائداً مجرّبًا لكي يدفع عنهُ كل مكروه لكن هذا القائد لم يكن معهُ في ساعة الحاجة اليهِ وارسلا معهُ طبيباً ماهرًا لكي يحميهُ من عوادي الادواء ويعالجهُ اذا مرض لكنهُ جرح واعتلَّ جسمهُ في برية قفراء ولا طبيب معهُ ولا سبيل الى العلاج كأن الانسان يفرُّ من المقدور والمقدور مدركهُ على حد ما قيل

طالمنْ حشاك فان دهرك موقع بك ما تخاف من الامور وتكرهُ
واذا حذرت من الامور مقدرًا وفررت منهُ فنحوهُ تتوجهُ